العنف ضد المرأة في الأعلام العراقي

عالية طالب(*)

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١١/١٥ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٢/١ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١/٣٠

الاتفاقيات الدولية

اتخذت الأمم المتحدة في عام ١٩٨١، خطوات تكميلية نحو تكريس الاهتمام بواقع المرأة. واشار البند الخامس من الاتفاقية إلى مشكلة تنميط صورة المرأة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، داعيا جميع الدول الأعضاء لاتخاذ الإجراءات المناسبة للقضاء على الممارسات المستندة إلى صور مقولبة "نمطية وجامدة لأدوار الرجال والنساء في العالم المعاصر .

ولعبت المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة أدوارا مهمة ومنها مؤتمر كوبنهاجن (١٩٨٠) ونيروبي (١٩٨٥) وبكين (١٩٩٥) وكلها اتفقت على ضرورة ايجاد قاعدة ثابتة لمعالجة إعلامية أكثر إيجابية لصورة المرأة.

وأكد مؤتمر بكين على أهمية تولي المرأة العديد من مناصب صناعة القرارات الإعلامية، واستثمار وسائل الاتصال الحديثة من شبكة الإنترنت والوسائط المتعددة في النهوض بالمرأة وتطوير أدائها المهني.

وفي عام ٢٠٠٦، أطلق "تقرير المرأة العربية والإعلام" ليكون أول جهد علمي يؤسس لقراءة أكثر علمية وموضوعية حول قضية المرأة العربية والإعلام. مستنداً على مجموعة كبيرة من الدراسات والمسح الميداني وكانت تقصي الواقع ومعرفة تفاصيله قبل المباشرة في أي عملية إصلاحية سواء على مستوى المحتوى الإعلامي أو المرأة الإعلامية العاملة أو على مستوى السياسات والمؤسسات الإعلامية.

(*) أديبة وإعلامية.

الاعلام المحلي في مواجهة الاعلام الغربي

لم يسهم الاعلام خلال العقود الماضية في الحد من ظواهر وحالات ممارسة العنف ضد المرأة، ولم يقتصر الامر على المنطقة العربية فقط بل ساهم الاعلام الغربي في تنميط صورة المرأة العربية بأنها امرأة تتعرض للضرب والإهانة على أتفه الأسباب، لا رأيَ لها ولا فكر، مسلوبة الإرادة.. ضعيفة ولا تتمتع بالقدرة على اتخاذ أي قرار.. فهل هي حقاً كذلك؟ وهل هي مستعبدة ضمن مجتمعها بنوعيه " الحضري والريفي "؟ وهل يمكن تعميم الحالات الفردية المتميزة لبعض النساء العراقيات على انها نموذجاً لشريحة متعلمة بإمكانها احداث الاثر الايجابي في حياتها وواقع مجتمعها!!

هذه الاسئلة يقابلها أجوبة عن ما قدمه الاعلام في تجسيد صورة المرأة، وهل هي صورة نمطية، جامدة، مستلبة، ثانوية، ظلا للرجل المتسلط الذي قد يجلدها حين تكون هي ضحية لجريمة اغتصاب على سبيل المثال أو ينبذها لأنها متحررة تسافر دون محرم، أو يستهجن عملها ان كانت فنانة، مطربة، موسيقية، مختصة بالأزياء ،... الخ.

ركز الإعلام الغربي على سلبية المرأة ورضاها بالقمع الذي يُمارس ضدها، ، ولم يستثن الإعلام الغربي العراقية المغتربة ، اذ استمر بالتأكيد على انها أسيرة وتعيش في استغلالٍ لا حدودَ له، وتتعرض لضغوط وانتهاكات بسبب العادات والتقاليد والثقافة العربية التي هاجرت بها إلى تلك البلدان، وأن الاعلام الغربي كثيرًا ما يتناول قضايا الحجاب وقضايا الشرف والتفرقة بين الجنسين، ودائمًا تبرز صورا للنساء العربيات وهن يُضربن أو يُقتلن من أجل الشرف أو عدم طاعة الزوج.

وقبل ان نخوض في تعاملنا المحلي مع صورة المرأة علينا ان نشير الى طريقتنا الاعلامية في التطرق الى المرأة الغربية التي غالبا ما ننتقدها ونصفها بأنها امرأة الجنس والدعارة، وأنها أصبحت وسيلةً للاتجار، وبأن الفتيات الغربيات هن اللاتي يحملن من البغاء والزنا.

واذا ما اردنا ارجاع فهم الاسباب التي تؤدي الى الحالتين فأننا سنصل الى ان العناصر والعوامل التي تساهم في هذه الصورة هم الصحفيون أنفسهم والمحررون الذين هم نتاج مجتمعاتهم فهم يؤمنون بأن دور المرأة الذي يتقبله المجتمع لا بد ان لا يخرج عن الاطر المتداولة ضمن الاعراف والتقاليد والتي قد يراها الغربي عجيبة لأنها بعيدة عن مسار مجتمعه كما نراها نحن عنهم بذات الصورة، اذن هي معاملة سيئة لكلا الطرفين .

صورة المرأة في الدراما العراقية.

١– قدمت صورة المرأة بشكل سلبي – فهي دائماً بحاجة إلى عون وغالباً ما تتوقع هذا العون من الرجل وهي ضعيفة القدرة على اتخاذ القرار وتفتقر إلى المبادرة وغالباً ما يكون مصيرها الفشل في المواقف الصعبة

٢– خروج المرأة إلى العمل نتج عن عوز اقتصادي أو عن فشل في الحياة الأسرية ولم ينشأ عن إحساس بأهمية العمل أو ضرورته.

٣– هناك ابراز للشخصية الإيجابية والمستقلة والبناءة للمرأة ولكنها تظهرها في مواقف تدافع فيها عن قضايا شخصية (اختيار شريك حياتها مثلاً)، ونادراً ما تصور هذه القصص المرأة العصرية التي تدافع عن قضايا أو مواقف عامة .

٤– هناك تسلسل يعتمد النسبة في تقديم صورة المرأة فهي اولا الأم المتفانية، ثم المرأة الشيطانية، ثم المرأة المستبدة، ثم ربة منزل، ثم منافسة للرجل أو فاسقة، ثم ساذجة، ثم المعدومة السلطة، ثم الطاهرة، ثم المرأة الرفيقة والمخلصة ، وهذا في اخر السلم التسلسلي.

٥–استهانة بالدور الذي تلعبه مجتمعياً, وتكريس حالة وصورة المرأة الجاهلة, وتجاهل الدور الإيجابي الذي تقوم به المرأة في تنمية المجتمع. ويعتبر هذا إحدى سبل ممارسة العنف ضد المرأة وانتزاع أهم حقوقها. فأغلب الصور اقتصرت على (ربة منزل, المرأة المستهلكة, المرأة الجانية والقاتلة, المرأة الجاهلة والتابعة لسلطة الرجل).

مواقع التواصل الاجتماعي

لا يمكن الفصل بين صورة المرأة في وسائل التواصل الاجتماعي وبين الخلفية الاجتماعية والمتغيرات الاقتصادية والسياسية التي طرأت على المجتمع العراقي ، ويمكن تأشير النقاط التالية التي توجز توجهات هذا النطاق الاعلامي–:

١–تحتل موضوعات الأزياء والموضة والماكياج وعمليات التجميل موقعاً رئيساً ، ويأتي ذلك على حساب المرأة ربة البيت والمرأة المنتجة ونساء الطبقات محدودة الدخل..

٢–الاهتمام بتفسير الأحلام وقراءة الطوالع والحظ والحوار مع نجوم وكواكب السينما والمجتمع والاهتمام بالمرأة السوبر حضرية على حساب نساء الطبقات الشعبية، أما نساء الريف فلا وجود لهن إلا من خلال جريمة قتل نسائية.

٣–البرامج الاذاعية الخاصة بالمرأة وبرامج المسابقات عبر اسئلة محددة تعكس صورة المرأة التي تفتقر الثقافة العامة و العقلية العلمية .

صورة المرأة " فنانة، مذيعة ، مقدمة برامج، ضيفة حوار أو قضية للنقاش

بشكل عام ما زال الاعلام يدور في طور تحريك الغرائز والمشاعر والعواطف ولم يصل بالفعل الى مرحلة خدمة قضايا المرأة والانسان ومتطلباته .. القنوات الفضائية التي تبث الأغاني الحديثة والبرامج الحوارية فيها الكثير من المشاهد المثيرة والإغرائية

والملفت للنظر أن المرأة هي الشخص المستخدم لإبراز هذه المشاهد بعيدا عن القيم الروحية والاجتماعية للمجتمع الشرقي. والسؤال المطروح هو الى أي مدى يعد الاعلام حريصاً على القيم الأصيلة للإنسان والإنسانية؟ والى أي مدى هو مهتم بعرض الواقع وعدم الإفراط في تقليد واقتباس الآخرين دون التمييز بين ما يناسب وما لا يناسب المجتمع الشرقي؟

والى أي مدى مسموح استخدام المرأة كسلعة دون إبراز قيمتها الإنسانية؟

من الواضح، أنه حتى لو كان هناك إعلام بارز عن قضايا المرأة الذي يتحدث عن (الفقر . الأمية . العمل . الطلاق . التمييز الخ) إلا أن تطبيق ذلك على أرض الواقع يختلف. فالمرأة تظهر في الاعلام، في غالب الأحيان، على شكل النجمة أو الفنانة أو المطربة أو الممثلة أو الراقصة أو المذيعة. وقليلاً جداً ما نراها الشاعرة والباحثة والكاتبة والمفكرة.

ربما هي كذلك من وراء الستار ولكنها لا تظهر كثيراً على الشاشة. والى ذلك، فإن صورة المرأة في الاعلام لا تتطابق في كثير من الأحيان مع الواقع المعاش.

* إن حالة التطور في واقع المرأة ، تستدعي تجنب حصول صدام اجتماعي وأخلاقي في المجتمع، وتستدعي أيضاً عدم استنساخ الحداثة من الغرب على ما هي عليه لأنها في أغلب الأحيان لا تتطابق مع النسيج الاجتماعي والقيمي في المجتمعات الشرقية.

*هناك خلط مقصود اليوم بين فتيات الاعلانات او الفديو كليب والفنانة الحقيقية وهذا الخلط شوه صورة الفنانة ورسالتها الفاعلة.

* مذيعات ومقدمات البرامج ونشرات الاخبار فأن اختلاف الازياء يعتمد على اختلاف توجهات المحطات الفضائية وتوجهات الجهات الممولة (محجبة ، سافرة) وهذا ليس هو الموضوع بقدر تأشير الامكانيات المهنية المطلوبة للعاملات في هذا الجانب ،

* افتقار الاعلام المرئي الى الكفاءات المهنية المتدربة جيدا والناطقة باللغة العربية بصورة جيدة مع افتقار واضح في اجادة لغات اخرى بالإضافة الى اعتماد مبدأ الفصل بين الاعداد والتقديم مما يجعل مقدمة البرنامج اشبه بالناقل الحرفي وبما ويؤشر خللا فكريا وضعفا في مجال الخبرة يؤثر على صورة المرأة الاعلامية التي عليها ان تكون حاضرة البديهة ومتفاعلة مع الحوارات التي تنفذها بمختلف انواعها ثقافية ، سياسية، فكرية ، ايدلوجية، بالإضافة الى الخلل البين في اختيار الشخصيات النسوية اللواتي تتم استضافتهن في المحطات المحلية وبما يعكس ضعف الوعي والتحليل لقضايا مهمة وحيوية يعاني منها المجتمع وبما يؤشر قصر امكانية المرأة في تقديم صورة جيدة للمرأة المتخصصة في مجالات العمل المتنوعة.

دعم صورة المرأة في الإعلام

لا يمكن الحديث عن إصلاح صورة المرأة في الإعلام التي هي عملية متعددة الجوانب والأبعاد، ومتعددة الحلول والطروحات بدون التحدث عن مسبباتها ، فهي ظاهرة تمتد جذورها في القيم والتقاليد الاجتماعية الموروثة التي لا تنظر للمرأة على أنها كيان إنساني واجتماعي مكافئ للرجل، وهي ايضا مشكلة ثقافية أفرزتها الظروف الاقتصادية التي تواجه المرأة ، بما فيها انتشار الأمية، وعدم تكافؤ فرص العمل، وتزايد الضغوط لإبقاء المرأة محاصرة في إطار فضاء اجتماعي محدد سلفاً وفق معايير مغلوطة.

الأمر ببساطة يتعلق بكون المؤسسات الإعلامية ليست سوى امتداد لمنظومة اجتماعية ثقافية تراكمت تفاصيلها عبر قرون كثيرة، لتفرز هذا الإرث الاجتماعي والثقافي الذي يحرك اتجاهات المجتمع ويؤطره نحو النساء

مقترحات وحلول .

ما الذي يمكن القيام به لتغيير الوضع القائم ؟ هل نبدأ بالمجتمع ونشرع في إصلاحه من خلال برامج استراتيجية تقود إلى إحداث تطور اجتماعي وثقافي تتلاشى من خلاله الاتجاهات السلبية نحو المرأة مما ينعكس إيجاباً على المخرجات الإعلامية؟

*أم نبدأ بالمؤسسات الإعلامية ذاتها ونعمل على إصلاحها بشكل يضمن لنا الحد الأدنى من التعامل السوي مع قضايا المرأة في المجتمع؟

مع معرفتنا بأهمية دور الاعلام بإعادة تشكيل الرأي العام وتحريك الاتجاهات نحو القضايا التي تهم المجتمع، فإننا سندرك النتائج السلبية التي ستتمخض عن بروز صورة سلبية لنصف المجتمع في وسائل الإعلام بالنسبة للتنمية في أوجهها المختلفة

ونسعى لاعتماد برامج متنوعة الاهتمامات وبعيدة المدى تعمل جنبا إلى جنب بشكل متواز لرفع مستوى الوعي الاجتماعي بالدور المركزي للمرآة في المجتمع، وتحويل هذا الوعي المتقدم إلى مخرجات إعلامية متطورة، تضع صورة المرأة في سياقها الصحيح بعيدا عن الإثارة والتسليع، والقيم المستهلكة

استثمار الخطاب الإعلامي في الحد من العنف ضد المرأة

لا بد من رفع مستوى الثقافة القانونية للمرأة والاسرة من خلال توضيح دور المؤسسات المعنية بالحد من العن ف ضد المرأة والعنف الأسري بشكل عام واستخدام المؤسسة الإعلامية عبر برامج توعوية لنشر القوانين والتع ليمات الخاصة بهذا الموضوع لتشمل:

*مواقع التواصل الاجتماعي

*برامج الاعلام المرئي

*ورش عمل وندوات في المراكز والمؤسسات التربوية

*تغيير الخطاب التربوي والمناهج الدراسية لتوضيح خطورة استخدام العنف المجتمعي

*تأهيل مراكز واقسام تمكين المرأة في المؤسسات العامة لتكون فاعلة ومؤثرة

* لن تتحقق المخرجات الايجابية نتيجة لجهد فردي تقوم به جهة بعينها، بل هو عملية تثقيفية وتوعوية وتربوية متكاملة تشارك بها جميع قطاعات المجتمع.

* تعزيز الوعي السليم بدور المرأة وبمركزيّتها في البناء والتطور كمرحلة أولى تمهد لتحول هذا الوعي الجمعي إلى مضامين إعلامية هادفة

*فهم عميق لطبيعة المشكلة، بشكل بعيد عن الإثارة والتضخيم، من خلال منهج علمي سليم يعالج الظواهر من جوانبها المختلفة.

*الفصل بين كون القضية مشكلة إعلامية وارجاعها الى كونها مشكلة ثقافية واجتماعية تحتاج لحلول اجتماعية مدروسة كون المخرجات الإعلامية ليست سوى مظاهر للمشكلة.